استرجاع اموالهم الزائلة وما يُتمّ هؤلاء جميعهم ان يتحققوا غرورهم فيرجعوا وهم اخيب من القابض على الماء. (له تابع)

رحلة علمية

من اديس ابابا الى النيل عن طريق بحيرة رودلف (تابع)

بقلم جناب عبد الله افندي مخائيل رعد الصيدلي القانوني في بلاد الحبشة

﴿ بحيرة رودلف ﴾ ويدعوها الوطنيون « بحر باسو » — هي قطعة من الماء عظيمة يعلو مركزها سطح البحر ٥٦٥ متراً ترى ضفافها وحلية وكثيرة المستنقعات ما عدا بعض الجهات القليلة حيث يحدّها اكمات عالية. اما تكوين هذه البحيرة فلم يكن في البدء سوى قطعة من السهول الممتدّة الى النيل انحطّ قعرها من جرّاء تقلبات بركانية حصلت في ذلك الاقليم ثم امتلأت هذه القطعة ماء من انصباب الغدران وبعض الانهر عليها كنهر اومو المارّ الذكر الذي يحمل اليها كمية ماء عظيمة من منحدرات جبال الحبشة. واطراف هذه البحيرة قليلة العمق فانّ الحمئة رأت طيوراً ذوات الارجل الطويلة تمشي في الماء على بعد ثلاثة كيلومترات من الشاطئ. غير انهُ في ايام الامطار يرتفع سطح الماء ويتكوّن في جوار البحيرة مستنقعات وبرك اخرى كثيرة واحدى هذه البرك مستديرة تعرف في الخرائط الجيوغرافية تحت اسم « خليج تايتو » او « خليج سندرسون ». وقد شاهدت ايضاً الحمئة بالقرب من الشراطئ هياكل عظام لأسماك كبيرة وتماسيح وغير ذلك من الحيوانات المسمّاة بلسان العلم (Anodontes, Ptomides, etc.) التي وُجدت بغتةً على اليابسة عند انحطاط الماء فهلكت. اما الماء فمكرٌ على الاطراف ذو رائحة طحلبيّة وغير صالح للشرب لاحتوائه على كمية كبيرة من نترات الصوديوم ولكن المظنون ان في منتصف البحيرة تقلّ كمية هذا الملح كثيراً

واضطرّت البعثة ان تبقى مدة طويلة غربي البحيرة على جبل « تاگوا » لان الحمى كانت قد اعترت كثيراً من رجال الحملة. اما سكّان هذه الجهة فهم قوم كبير الاجسام اقوياء من شرّ الوطنيين وارحشهم عوائد واخطرهم جواراً فانهم قتلوا اثنين

من رجال الحملة وبعضاً من جمالها فتأثرتهم الحملة وأسرت منهم اثنين بدلاً من القتلى واستخدمتهما بصفة دليلين على الطرقات

﴿ بلاد التركوانا ﴾ قامت البعثة من جوار البحيرة في ٢ تموز ووجهت خطاها نحو الغرب الى بلاد « التركوانا » فوصلت جبال هذه القاطعة بعد مسير اربعة أيام. وترى غربي هذه البلاد صحاري فسيحة قليلة الماء يتخللها بعض الروابي. ارضها يابسة مشققة وهذا مما يدل ان في فصل الامطار يتكون هناك مستنقعات كثيرة. امّا سواقي المياه فهي نادرة جداً صعبة الوجود وبعيدة عن بعضها تنبع في سفح الروابي ويُظنّ انّها ترشح من البحيرة فان طعمها مالح وتحتوي على كثير من نترات الصوديوم وبعضها تنبع حارّة. غير انّهُ يوجد في بعض المحلّات صهاريج طبيعيّة بها شيء من الماء الحلو الذي كانت تستقي منهُ الحملة وتأخذ مؤونتها. ونبات هذه الارض قليل الانواع فلم ترَ البعثة هناك سوى شجيرات من نوع الميموزا ذي الشوك المعكوف وبعض شجيرات اخرى ذوات ورق سميك يدعوها الوطنيون شجر « آده »

وبعد ان قطعت الحملة هذه الصحاري وصلت الى الوادي الذي يسكنهُ التركوانا في ايام الامطار وكان وقتئذٍ خالياً لعدم وجود الماء والعشب لرعي قطعانهم. وهناك شاهدت الحملة كثيراً من شجر السر الهندي. امّا الاهالي فانّهم يرحلون في أيام القيظ الى جوار بحيرة رودلف. ومن هناك سار هؤلاء الرحّالون في ١٥ تموز فقطعوا صحراء اخرى عظيمة اولها متصل ببحيرة رودلف وآخرها غير معلوم يتخللها بعض الجبال (ع من ١٢٠٠ الى ١٦٠٠ م) فجلسوا بضعة ايام قرب بئر « كالوليوموري » (ع ٧٠٠ م على مقربة من جبل « بيليكيتش » (ع ١١٠٠ م) قصد اخذ الراحة

واهل التركوانا كلهم كبيرو الاجسام متوحشون للغاية هيئتهم مخيفة ولا يفكرون الّا في الحرب وشنّ الغارات بعضهم على بعض ما خلا النزر القليل ممن يتعاطون الحراثة وصيد الاسود والفيلة. ولا ملك عليهم ولا رؤساء فهم يعيشون عشائر عشائر متفرقين في الصحراء وهدفاً للغزوات. لونهم اسود فاحم ولا يلبسون شيئاً من الاثواب غير انّهم كثيرو التفنّن في عقد شعورهم فمنهم من يعقد شعرهُ حول رقبته ومنهم من يضفره شبه نصف دائرة على قفرته ويغرز فيهِ ريش النعام او قطعاً من الاخشاب التي يصطنعونها او زهوراً او مقاطيع حديد رقيقة كالنصال وما اشبه ذلك. وهم كلهم يقلعون

اثنين من منتصف اسنانهم السفلى ويثقبون منتصف شفتهم السفلى وكل دائرة آذانهم ويعلقون في هذه الثقوب الخرز والاساور والحلق وغير ذلك من الاواني الزجاجية والخشبية والحديدية. ولا يشاهد احدهم الا حاملا رمحين وترسا وبجانبه خنجر كبير. اما نساؤهم فطويلات مهزولات ووسخات قذرات يلبسن مئزرا من جلود المعزى يربطنه على حقويهن يزار مصنوع من صفوف الخرز او قطع الحديد ويعلقن على هذا المئزر صفين او ثلاثة من بعض النعام الثقيل الوزن والكبير الحجم. وليس لهن سوى هذا اللباس وهن يطوقن اعناقهن بقلائد من الخرز او باطواق من الحديد. اما بيوت هؤلاء القوم فليست سوى زرائب واكواخ مصنوعة من الاغصان. وهم يقتنون كثيرا من المواشي كالغنم والماعز والبقر والحمير والجمال ولا يأتيهم من المتاجرين سوى بعض العبيد السواحليين الذين يجلبون اليهم الخرز وقطع الحديد والرماح والخناجر فيستبدلونها من عندهم بالعاج وريش النعام والحمير والجمال

﴿ بلاد كارامودجو ﴾ قام الرحالون من بلاد التركوانا واخذوا طريق الغرب التي تؤديهم الى النيل حيث منتهى رحلتهم فقطعوا سهولا كثيرة تختلف ارتفاع نقطها بين ٦٤٠ و ٧٤٠ مترا ثم جبالا اعلى نقطة فيها ١٠١٠ م حتى وصلوا الى « كارامودجو » فحطوا رحالهم عند النهر الناشف المسمى نهر « كالوانتونيو » (ع ١١١٠ م) حيث ينبت كثير من النباتات ذات الروائح العطرة وشجيرة الحنّاء المعروفة. فيناك مكثت الحملة بضعة ايام استراحت فيها لان المناخ جيد والماء طيب والارض كثيرة الخضرة والزهور وبنوع اخص لأنّ تلك الجهة كثيرة الطرائد فقنص رجال الحملة هناك كثيرا من وحيد القرن والزرافة والنعام والغزال والايل

﴿ بلاد اوتومور ﴾ بعد ان اقامت الحملة أياما بهيجة في تلك الناحية واصلت سيرها الى بلاد « اوتومور » فصعدت اولا جبل « ترّور » (ع ٢٠٠٠ م) ثم نزلت من الجهة الغربية الشمالية الى الوادي الذي يسكنهُ الاوتومور. وهؤلاء الآدميون يشبهون التركوانا غير انهم اقل توحشا منهم كثيرو الخوف والخجل قد هربوا لاول وهلة من وجه رجال البعثة لكنهم لم يعتموا ان أنسوا بهم وصاروا يأتون الى مضاربهم حاملين اليهم من مزروعات ارضهم وهي الذرة والفاصوليا والبطاطا والقسنت. ومضارب هؤلاء القوم نظيفة ومرتبة. واراضيهم خصبة جدًّا غزيرة الماء وطيبة الهواء. ومما يجمل

ذكرهُ في هذه البلاد وجود اكمة في منتصف السهل كلها قطعة واحدة من الحجر الدعو بالغنيس (gneiss) نظيفة لا تراب عليها يغطيها ولا حصى ولا نباتات. وهي هرمية الشكل ارتفاعها عن سطح السهل مائتي متر ومركز اسفلها يعلو عن سطح البحر ١٣٠٠ م يدعوها الاهلون « ليم » او « موروليم »

﴿ بلاد ادجالي السودانية ﴾ تابع رجال البعثة وجهتهم الى الغرب فرّوا بسهول لا طريق لها مغطاة بالعشب الاخضر الطويل والادغال وفيها برك كثيرة ومستنقعات ماء. فقطعوها مسير اربعة أيام ثم دخلوا بلاد « ادجالي » السودانية فوقفوا عند قرية « شولي » ثم مرّوا على قرى « ادلان وفدجولي وكورونكا وبايوي وليرا » وغيرها. واهل هذه البلاد معتدلو القامة عندهم شيء من التمدن لانهم نظروا الناس ورأوا المعاكر والتجار على عهد البعثات العسكرية المصرية. فاستقبلوا رجال الرحلة بكل ترحاب وحيّوهم باللغة العربية. ولباسهم غالباً جلود الحيوانات غير انَّ كثيراً منهم بدأوا يلبسون الاقمشة حتى الحريرية منها. وبيوتهم نظيفة محاطة بالاشجار وخصوصاً باللوز وهم رعاة وزرّاعون. واملاكهم منظمة نوعاً وهي مزروعة ذرة صفراء وبطاطا وفستق السودان (arachide) وذرة بيضاء (sorgho) وسمسم ونبات التيوكا (manioc) وكوسى وغير ذلك. وعندهم اسواق لها معاملات تجارية مع الاوغندة والخرطوم

﴿ بين بلاد ادجالي والنيل الاعلى ﴾ ثمَّ اتجهت البعثة الى الشمال بعد اجتياز قرى ادجالي فقطعت سهولاً يتخللها جبال واكمات ومرّت على وديان كثيرة الاشجار والانهار بها عدَّة قرى وحقول مزروعة وقطعان مواشي. واول نهر كبير صادفتهُ هناك هو نهر « اصوا » (ع ٩٢٠ م) فاجتازتهُ ثم اجتازت بعده نهر « بكجر » الذي يصب في النيل بعد مصب نهر اصوا فيهِ. عرض هذا الاخير من ٦٠ الى ٧٠ متراً وفي بعض المحلات ١٠٠ متر. واما عمقهُ فلا يتجاوز خمسة امتار وقوَّة مجراه ٣٠ متراً في الدقيقة. يتخلله في وسطه بعض الجزر الصغيرة الخضراء. واما ضفاته فكلها اعشاب وقصب واشجار. ثم بعد مسير بضعة ايام ايضاً بين الحقول والاشجار والجبال والوديان اجتازت الحملة نهر « نياما » الذي يصب في النيل ايضاً ودخلت بلدة « مادي » فزارتها وزارت القرى المجاورتها فنظرت الفرق العظيم بين اهالي هذه الجهة وسكّان الجهات التي مرّت بها في اواسط

افريقية فرأت ان الاهالي كلهم لابسون الاثواب وبارجلهم الاحذية . وملابسهم كلها من المنسوجات القطنية والحريرية الكثيرة الالوان الفاقعة كالاحمر والازرق والاخضر وغير ذلك وهم يخيطونها بعضها رقعاً فتراهـا كالاعلام لتعدد الوانها ويُرى على وجوه اكثرهم جراح العتق وهذا مما يدل على انهم كانوا اولا عبيداً في جملة جهات متمدنة ثم أُعتقوا فجازوا وسكنوا هذه الارض . ولهم مزارع وحقول وسوق تجارة واغلبهم من المسلمين (التتمة لعدد آخر)

رسم المجاري النهرية في لبنان

للاب هنري لامنس اليسوعي مدرس العلوم الشرقية الشرقية في المكتب الشرقي

١ افادات عمومية

باي اسم تدعو مجاري المياه في لبنان أتدعوها انهاراً او جداول او سيولاً فقط . ذلك ليس بامر سهل لولا انَّ العادة قد غلبت على السن القوم فيـدعون بالنهر مسيل المياه عموماً فيقولون نهر بيروت بل يقولون نهر الخليـلس مع انَّ مجراه لا يكاد يبلغ خمسة كيلومترات وسبب ذلك انَّ العرب لم يعرفوا في جزيرتهم الّا الميـاه الجارية في بعض فصول السنة وتلك الاودية والمياه الجارية جريًا متواصلاً بلا انقطاع سواء تبلغ البحر او تنصبُّ في نهر آخر (١

فما يبقى لنا سوى ان نجاري العادة المألوفة التي لا تحاو من سند كما اشار الى ذلك اليزابي روكار في كتابه عن الارض حيث قال (ص ٣٥١) : انَّ كمّيَّة المياه التي تجري في مسيل دون آخر لأمرٌ عرضي يختلف في قارة دون أُخرى وفي بلد دون بلد على مقتضى خطر بجعل المجاري المائيَّة فلو اعتبرتَ مثلاً بعض انهار اوربَّة وعرضتهـا بانهار لميركة كالامازون وما ينصبُّ فيه من الاودية لِمَا استحقَّت بان تُدعى جداول . ثم انَّ كمّيَّة المياه ليست ثابتة بل تختلف على مدار السنة . وبعض الانهار التي كانت في سالف الازمنة على

---

١) وقد افرز كتبة الصليبيين بين هذين الصنفين فان غليموس الصوري يدعو باسم « rivus » كوادي الماطرين وسمّى الانهار كنهر الكلب « fluvius »